

مراكز الأرشيف ودورها في نشر المعلومات: الواقع الوطني

الأستاذ محمد الصالح نابتي

مكلف بالدروس. قسم علم المكتبات

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة منتوري قسنطينة

تقديم

إن نشر المعلومات وتوزيعها وبثها هي خدمة فنية تقوم بها كل أنواع أنظمة المعلومات على اختلاف أهدافها. وهذه الخدمة تمثل الحلقة الأخيرة في السلسلة الوثائقية. وتهدف إلى وضع في متناول المستفيدين، وسائل عمل للاستفادة أحسن من مختلف المصادر الوثائقية التي تحصل عليها النظام. ولعل النشرات والفهارس والبيليوغرافيات وقواعد المعلومات وغيرها من الوسائل السمعية البصرية، تشكل في مجموعها الوسيلة أو الوسائل المحققة لهذه الغاية.

وقبل أن نتطرق إلى هذه الوسائل بالتفصيل يجدر بنا ملاحظة أن الإجراءات الفنية المطبقة على الوثائق الأرشيفية تختلف عن الإجراءات المطبقة على الكتاب العادي مثلا، فالوثائق الأرشيفية هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأبحاث التاريخية، وبالتالي فالإجراءات التي يقوم بها الأرشيفي تجاه هذه الوثائق من ترتيب وتصنيف وكتابة السجلات وأعداد الفهارس تجعل منه مساهما في العملية البحثية نفسها، أي أن هناك قيمة إضافية يضيفها الأرشيفي إلى هذه الوثائق فتصبح مراكز الأرشيف هي بمثابة مؤسسات بحث تاريخي، لأن كل من يريد دراسة الماضي لا بد عليه من الرجوع إليها. فهي بهذه الصفة تشكل مركز إعلام شأنه في ذلك شأن بقية أنظمة الإعلام الأخرى. فمحافظو الأرشيف قدماء كانوا أو محدثون يعتبرون المسؤولين الأساسيين على الأبحاث التاريخية على مستوى دوائر عملهم. فهم يساهمون في نشر كثير من الأعمال التاريخية سواء على المستوى العالمي

أو الجهوي أو المحلي، كما أنهم يقومون بعمل استشاري بالنسبة للباحثين، بالإضافة إلى الأعمال الإدارية الكثيرة الموكلة لهم.

تعريف الأرشيف

الأرشيف، أو مراكز الأرشيف، هو المكان الذي تجمع فيه الوثائق المنتجة أو المحصل عليها، مهما كانت الدعامة أو الحامل الذي هي محمولة عليه، ثم تحفظ وتعالج، لتبلغ، في النهاية، للرواد والباحثين حسب شروط وإجراءات معينة. وتقسم الأرصدة الأرشيفية إلى أقسام ثلاثة:

- 1- الوثائق الأرشيفية الجارية، المستعملة في المكاتب
- 2- الوثائق الأرشيفية الوسيطة (المتوسطة العمر) والتي لم تعد تستعمل في المكاتب ولكنها لا زالت لم تصدر في حقها القوانين الخاصة بالفرز أو بالحذف.
- 3- الوثائق الأرشيفية النهائية والتي يمكن أن توضع تحت تصرف الجمهور بعد فرزها.

فجمع الأرشيف وهي المهمة الأولى التي تقوم بها مراكز الأرشيف، تشمل استلام المدفوعات وإيداعها. وتتمثل هذه المهمة في مراقبة مدى تطبيقها للشروط القانونية ومدى مطابقتها مع الجداول المرفقة وكذلك مراقبة حالتها المادية. وتسبق هذه المهمة بدراسة يقوم بها مركز الأرشيف لتحديد ومعرفة نوع الوثائق المدفوعة أو المودعة.

أما المعالجة فهي تشمل، بالدرجة الأولى، محاولة تحديد مواضيع هذه الأرصدة الأرشيفية، وذلك بتصنيفها بطريقة منهجية-أوما يعرف بالمنهجية الوظائف الإدارية- وفقا للاهتمامات الحالية والمستقبلية للمؤسسات المنتجة لهذه الأرصدة مما يشكل في حد ذاته عملا أساسيا من الأعمال التي يقوم بها الأرشيفي. فالتصنيف المتبع قد يأخذ محاوره الأساسية من أحد التصانيف المعروفة، كما قد يكون تصنيفا خاصا بمركز الأرشيف، بشرط أن يتوفر على مميزات

التصانيف المعروفة¹. ففي الحالتين فإن التصنيف المتبع يجب أن يشمل توضيح عمل المركز ونشاطه واهتماماته وهذا ما نجده موضحا في دليل المركز نفسه. فالتصنيف الجيد سيساعد لا محالة في الاستفادة الجيدة من أرصدة الأرشيف المودعة، وبالتالي يكون نشر المعلومات التي تحتوي عليها هذه الأرصدة نشرا تاما وكاملا.

كما يمكن تقسيم الأرصدة الوثائقية التي تشتمل عليها معظم المؤسسات الإدارية، من حيث طبيعة المعلومات المنشورة أو الموزعة، إلى مجموعتين كما يلي²:

1- الوثائق المودعة في المراكز الوثائقية: مثل الدوريات والكتب المطبوعة، المحصل عليها من خارج هذه المؤسسات، والتي يمكن إضافة إليها وثائق أخرى من إنتاج المؤسسات نفسها. فهذه الوثائق هي، بطبيعة الحال، متاحة لجميع العاملين في المؤسسة، فالمعلومات التي تقدمها هذه الوثائق هي التي تعرف بالمعلومات ذات الطابع الوثائقي.

2- الوثائق المتواجدة في أماكن الإنتاج-مختلف المكتب الإدارية التي تتكون منها هذه المؤسسات- والمرتبة في ملفات والتي تضاف إليها، من حين لآخر، مجموعة من الوثائق من خارج هذه المؤسسات. فهذه المجموعة هي متاحة فقط لمنتجيتها وذلك في إطار عملهم، خلال فترة زمنية يحددها القانون، ولكنها ستعرض للحذف، أوتودع في مصلحة الأرشيف حيث باستطاعة الجمهور أن يطلع عليها. ونظرا لأن نشر المعلومات التي تحتويها هذه المجموعة من الوثائق هي تتم بطريقة جد محصورة فهي تعتبر ذات طابع غير وثائقي.

أهداف مراكز الأرشيف وطرق نشر المعلومات

إن مراكز الأرشيف هي أنظمة إعلامية كباقي أنظمة الإعلام الأخرى من مكاتب ومراكز توثيق وغيرها من مختلف المستودعات الوثائقية مهما كانت التسمية التي تطلق عليها، وبالتالي فأهدافها تتمثل في جمع وتسجيل الأرشيف بمختلف مصادرها وفرزها ومعالجتها ومن ثمة تقديمها للمطالعة، غير أن عمل

الأرشيف يجب أن يسبق بأرشفة أولية على مستوى المؤسسات المنتجة لهذا الأرشيف، وبالتالي ضرورة وجود مراكز أرشيف أولية على مستوى البلديات والدوائر، وحجم هذه المؤسسات الأرشيفية الأولية يتناسب مع حجم المؤسسة التابعة لها وكذلك بمدى استعمال التكنولوجيات الحديثة من طرف هذه المؤسسة. والملفت للانتباه هنا أن كثيرا من المؤسسات تشكو من عدم وجود مراكز أرشيف أولية، مع أنها ملزمة بالقيام بالأرشفة الأولية لمنتجاتها من الوثائق، وكذلك أرشفة الوثائق التي تحصل عليها من الخارج، وهذا لعدة أسباب:

- 1- أنها في الغالب بعيدة عن مقر مراكز الأرشيف المختصة
- 2- أنها لا بد أن تعالج مشكل تزايد ونمو الوثائق المتواجدة على مستواها
- 3- أنها لا بد أن تطبق القوانين الصادرة في هذا الشأن.

من هذا يتضح أن إنشاء مراكز أرشيف أولية، حتى ولو كانت على شكل قاعات صغيرة، على مستوى المؤسسات يصبح أكثر من ضرورة. إذن فعمل الأرشيفيين، علاوة على الأعمال الفنية السابقة الذكر يتمثل أساسا فيما يلي³:

- 1- التعريف بمجموعات المراكز الأرشيفية: عن طريق وسائل البحث مثل السجلات والكشوف والفهارس، وغيرها من وسائل البحث.
- 2- احترام الشهادات التي تدلي بها المجموعات الأرشيفية مهما كان مستوى هذه الشهادات.
- 3- الحث على احترام الوثائق نفسها وخاصة المكتوبة منها، كوعاء أو كحاوي لهذه المجموعات.

فهذه الأعمال وغيرها تشكل الأهداف المرجوة من مراكز الأرشيف، وتحقيقها يتم كما يلي:-

- 1- عن طريق الزيارات وخاصة إذا كانت هذه الزيارات مرفقة بعرض لبعض الوثائق المهمة. فالأرشيفي يجد متعة داخلية تشجعه على المضي قدما في هذا العمل النبيل، وهو يرى رضا الزائرين عما شاهدوه من وثائق، تعتبر المصدر الأول لقرون من تاريخهم.

- 2- عن طريق المعارض وخاصة إذا كانت هذه المعارض مرفقة بشروح من طرف أرشيفي مسئول عن المعرض، تتناول هذه الشروحات المواضيع التي يتناولها المعرض. (مثل ما هو متبع في الأرشيف الوطني الفرنسي والتي تعرف بالربع ساعة الثقافي من يوم كل ثلاثاء). وتتطلب هذه المعارض ضرورة التشديد على الحراسة والأمن.
- 3- عن طريق المحاضرات وهي طريق إضافية للوصول إلى أكبر عدد من الجمهور. ويمكن إثراء هذه المحاضرات بعرض صور ثابتة وأفلام متخصصة وغيرها.
- 4- عن طريق الوسائل السمعية البصرية التي تساعد بدورها الأرشيفي على الاتصال بالجمهور.
- 5- عن طريق تكنولوجيا الإعلام والاتصال الجديدة وتطبيقاتها، وخاصة فيما يتعلق بنشر المعلومات التي تحتويها المجموعات الأرشيفية، بالرغم من أن اهتمامات الباحثين خاصة لا تقف عند ما تحمله الوثائق الأرشيفية من معلومات، بل تتعداها إلى الاهتمام بالأوعية الحاملة لهذه المعلومات نفسها.

الواقع الوطني

إن واقع الأرشيف في الجزائر قد تناول بالدراسة والتحليل من عدة جهات يأتي على رأسها أصحاب المهنة أنفسهم وكذلك، وقد يكون هذا في إطار الندوات التي تنظمها الإدارات المعنية المسؤولة. كما أن الدراسات التي تمت على مستوى معاهد علم المكتبات والمعلومات والتي تدخل في إطار مذكرات التخرج أوحى رسائل الماجستير، كلها عملت على تشخيص واقع هذه المؤسسات الإعلامية. فهذه الدراسة هي إضافة أخرى إلى الدراسات السابقة، ولا نظن أنها ستأتي بالجديد، وإنما أردناها إطلالة مختصرة على واقع الأرشيف من خلال عينة من المراكز الأرشيفية المتواجدة على مستوى مدن الشرق الجزائري. وقد مست الدراسة مجموعة من النقاط تمثلت فيما يلي: سنة النشأة أو سنة التأسيس؛ وسائل البحث على أساس أن الدراسة تحاول أن تظهر دور مراكز الأرشيف في نشر

المعلومات؛ علاوة على مهمة الجمع والحفظ التين تشتهر بهما؛ توفرها على الوسائل التكنولوجية الحديثة؛ وأخيرا التكوين المتخصص والتكوين المستمر.

- 1- فيما يتعلق بسنة النشأة أو التأسيس فإن أغلب المراكز المدروسة تأسست في أواخر الثمانينات وبداية التسعينيات. وهذا في حد ذاته يطرح تساؤلا فيما يخص الأرشيف الأولي الذي تنتجه الإدارات المعنية في غياب هذه المراكز المختصة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كيف تمت المعالجة الراجعة لهذه الأرشيف المتراكمة على مستوى هذه الإدارات.
- 2- أما فيما يتعلق بوسائل البحث فهي غير متوفرة، وإن وجدت فهي وسائل تقليدية تشمل محاضر الدفع ومحاضر الكشف والسجلات الأخرى، والتي تعتبر من وسائل العمل الداخلي.
- 3- أما الوسائل التكنولوجية الحديثة فتتلخص في عدد قليل جدا من الحواسيب (خمسة حواسيب لمجموع ثمانية مراكز ولائية)، وعدد من قارئات المصغرات.
- 4- أما عن التأطير المتخصص في هذه المراكز فإنها مؤطرة بمهني متخصص واحد على الأقل، وهذا كافي بالنسبة لأغلبية المراكز المدروسة، بالنظر إلى حجم الأرصدة الموجودة.
- 5- أما فيما يتعلق بالتكوين المستمر فيتمثل في بعض الملتقيات الجهوية التي تنظمها الجهات المسؤولة، غير أنها لا تشمل كل المختصين العاملين، باعتبار أن هذه الملتقيات قد يستفيد منها مسئول المركز وقد لا يكون هذا المسئول متخصصا.

المقترحات

- 1- نظرا لأهمية التكوين في مجال الأرشيف لما له من قيمة في حياة الأمم فإننا نرى بضرورة إعادة النظر في برامج التعليم على مستوى الجامعات الجزائرية، وكذلك برامج التكوين المقدمة على مستوى المعاهد الوطنية للتكوين المهني، وضرورة التنسيق بين الجهات المعنية بالتعليم والتكوين، وتوضيح الأهداف المرجوة من كلا الطرفين.

- 2- ضرورة إدخال تكنولوجيات المعلومات على الأعمال الأرشيفية، على أن يكون هناك تنسيق تام بين مختلف المراكز الأرشيفية الوطنية فيما يتعلق بنوع التكنولوجيا المطبقة والمستعملة ولما لا التنسيق فيما يتعلق بنوعية الأجهزة المقتناة نفسها.
- 3- توعية الجهات المعنية بأهمية الأرشيف، وإقامة مباني خاصة به تخضع للمعايير المعمول بها دوليا.
- 4- نظرا لضخامة حجم الأرشيف الموجود في الوقت الحاضر، وكذلك الحجم المتوقع مستقبلا وتنوعه واختلاف أوعيته، فإنه من الأفضل التفكير في إقامة شبكات محلية أو جهوية متخصصة.
- 5- ضرورة إعادة النظر في التشريعات القانونية المسيرة لهذا القطاع الهام وكل القطاعات ذات الصلة كالمكتبات ومراكز التوثيق بمختلف أنواعها وأهدافها.
- 6- ضرورة العمل بالتنسيق مع المؤسسات والجمعيات العالمية الحكومية منها وغير الحكومية للاستفادة من إمكانياتها وتجاربها.

المراجع

- 1- *Politique de gestion des documents administratifs et des archives à l'école polytechnique.- Montréal: Ecole polytechnique, 1987(not DG-194), mise à jour 2-07-2002*
- 2- *Roche Roberte.-La Gestion électronique de l'information. in "les Centres de documentation et les nouvelles tech. De L'information.- Paris: la Documentation Française, 1994.p.86*
- 3- *Association des Archivistes Français. Manuel d'archivistique: théorie et pratique des archives publiques en France.-paris:s.e.v.p.e.n., 1970.p.693*